352 - ـ فصل : ثقة الإنسان بعلم نفسه آفة كبرى .

المصيبة العظمى رضى الإنسان عن نفسه و اقتناعه بعلمه و هذه محنة قد عمت أكثر الخلق .

فترى اليهودي أو النصراني يرى أنه على الصواب و لا يبحث و لا ينظر في دليل نبوة نبينا صلى ا عليه و سلم .

و إذا سمع ما يلين قلبه مثل القرآن المعجز هرب لئلا يسمع .

و كذلك كل ذي هوى يثبت عليه إما لأنه مذهب أبيه و أهله أو لأنه نظر نظرا أول فرآه صوابا و لم ينظر فيما يناقضه و لم يباحث العلماء ليبينوا له خطأه .

و من هذا حال الخوارج على أمير المؤمنين علي رضي ا تعالى عنه فإنهم إستحسنوا ما وقع لهم و لم يرجعوا إلى من يعلم .

و لما لقيهم عبد ا بن عباس Bهما فبين لهم خطأهم رجع عن مذهبه منهم ألفان .

و ممن لم يرجع عن هواه ابن ملحم فرأى مذهبه هو الحق فإستحل قتل أمير المؤمنين رضي ا تعالى عنه و رآه دينا حتى أنه لما قطعت أعضاؤه لم يمانع .

فلما طلب لسانه ليقطع إنزعج و قال : كيف أبقى ساعة في الدنيا لا أذكر ا .

و مثل هذا ما له دواء .

و كذلك كان الحجاج يقول : [و ا ما أرجو الخير إلا بعد الموت] .

هذا قوله و كم قتل من لا يحل قتله منهم سعيد بن جبير .

و قد أخبرنا عبد الوهاب و ابن ناصر الحافظ قالا : أخبرنا المبارك بن عبد الجبار قال : أخبرنا الحسين بن محمد النصيبي قال : أخبرنا إسماعيل بن سعيد : قال : حدثنا أبو بكر بن الأنباري قال : حدثنا أبو عيسى الختلي قال : حدثنا أبو يعلى قال : حدثنا الأصمعي قال : حدثنا أبو عاصم عن عباد بن كثير عن قحدم قال : وجد في سجن الحجاج ثلاثة و ثلاثون ألفا ما يجب على واحد منهم قطع و لا قتل و لا صلب .

قلت : و عموم السلاطين يقتلون و يقطعون ظنا منهم جواز ذلك و لو سألوا العلماء يبنوا لهم .

و عموم العوام يبارزون بالذنوب اعتمادا على العفو و ينسون العقاب .

و منهم من يعتمد أني من أهل السنة أو أن لي حسنات قد تنفع و كل هذا لقوة الجهل .

فينبغي للإنسان أن يبالغ في معرفة الدليل و لا يساكن شبهته و لا يثق بعلم نفسه نسأل ا السلامة من جميع الآفات !